

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ۝^(٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ۝^(٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝^(٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۝^(٢٤) مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ۝^(٢٥)﴾ [نوح: 21 - 25]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

بعد أن دعا نُوحٌ ﷺ قَوْمَهُ بِاللَّيْنِ والحكمة، وأقامَ عليهم الْحُجَجَ والبراهين، وتفنَّنَ في أساليبِ الدَّعْوَةِ من ترغيبٍ وترهيبٍ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَّا الإصرَارُ عَلَى الباطل، وتجاوزوا ذلك إلى معاملته بأشنع الأقوال والأفعال، والنسبة إلى الضلال: لجأ نُوحٌ ﷺ إلى رَبِّهِ يَشْكُوهُمْ، وَيَدْعُو عَلَيْهِمْ^(١).

الْجُوءُ إِلَى
رَبِّ الْعِبَادِ
عِنْدَ الشَّدَائِدِ
وَالْمَلَامَاتِ

❖ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿خَسَارًا﴾: أَصْلُ (خسر) يَدُلُّ عَلَى النِّقْصِ، فَالْخَسَارَةُ وَالْخَيْسَرَى: الضَّلَالُ وَالْهَلَاكُ وَالنُّقْصَانُ، وَالْخَاسِرُ: الَّذِي وُضِعَ فِي تِجَارَتِهِ⁽²⁾، وَالْإِخْسَارُ: جَعَلَ الْآخِرَ خَاسِرًا، وَالْخَسَارُ: مِثْلُ الْخَسَارَةِ، وَهُوَ نَقْصَانُ التِّجَارَةِ⁽³⁾، فَالْخَسَارُ مَعْنَاهُ هُنَا: النِّقْصُ، وَاسْتُعِيرَ فِي الْآيَةِ لَخِيبةِ الْعَمَلِ، وَلِحُصُولِ الشَّرِّ مِنْ وَسَائِلِ شَأْنِهَا أَنْ تَكُونَ سَبَبَ خَيْرٍ كَخَسَارَةِ التَّاجِرِ مِنْ حَيْثُ أَرَادَ الرَّبِّ⁽⁴⁾.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30 / 655، وأبو حيان، البحر للحيط: 10 / 284، والبقاعي، نظم الدرر: 20 / 446.

(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (خسر).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27 / 240.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 207.

(2) ﴿مَكْرًا﴾: أصل (مكر) يدلُّ على الاحتيالِ والخِداعِ⁽¹⁾، وقد مَكَرَ به يَمْكُرُ، فهو مَكْرٌ ومَكَّارٌ، ومَكَرَ به: كادَهُ⁽²⁾، والمَكْرُ: إيصالُ الشرِّ إلى الآخر بطريقٍ خَفِيٍّ، وكذلك الكَيْدُ والمخادعةُ، ولكِنَّه نوعان: قَبِيحٌ: وهو إيصالُ ذلك لِن لا يَسْتَحِقُّه، وَحَسَنٌ: وهو إيصالُه إلى مُسْتَحِقِّه عقوبةً له، فالأوَّلُ مذمومٌ، والثَّاني ممدوحٌ⁽³⁾، والمَكْرُ في الآية معناه: إخفاءُ العملِ، أو الرَّأي الذي يُرادُ به ضَرُّ الآخر، والمُرَادُ: مَكروا بنوحٍ والَّذين آمنوا معه بإضمار الكيدِ لَهُم حتَّى يَقعوا في الضَّرُّ⁽⁴⁾.

(3) ﴿كُبَّارًا﴾: (كبر) أصلٌ يدلُّ على خِلافِ الصِّغَرِ⁽⁵⁾، وَكَبَّرَ - بِالضَّمِّ - يَكْبُرُ، أي: عَظُمَ، فهو كَبِيرٌ وكُبَّارٌ، فإذا أَفْرَطَ، قيل: كُبَّارٌ، والكِبَرُ: العِظَمَةُ، وكذلك الكِبَرِيَاءُ⁽⁶⁾، والكُبَّارُ أَبلغُ من الكَبِيرِ، والكُبَّارُ أَبلغُ من ذلك، فـ ﴿كُبَّارًا﴾ هنا مُبَالَغَةٌ، أي: كَبِيرًا جَدًّا، وهو واردٌ بهذه الصِّيغَةِ في ألفاظٍ قَلِيلَةٍ مِثْلَ طَوَّالٍ، أي: طَوِيلٌ جَدًّا، وَعُجَّابٍ، أي: عَجِيبٌ، وَحُسَّانٍ، وَجُمَّالٍ، أي جَمِيلٌ، وَقُرَّاءٍ لكثيرِ القِرَاءَةِ، ووُضَاءٍ، أي: وَضِيءٌ، قال عيسى بنُ عُمَرَ: هي لُغَةٌ يَمَانِيَّةٌ⁽⁷⁾.

كقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوءٌ مَكْرًا كُبَّارًا﴾⁽⁸⁾، أي: كَبِيرًا عَظِيمًا على وَجْهِ المُبَالَغَةِ⁽⁹⁾.

(4) ﴿لَا تَذَرْنِ﴾: أصل (وذر) يدلُّ على قَذْفِ الشَّيْءِ وإلقائه لِقَلَّةِ الاعتدادِ به، والوَذَرَةُ: قِطْعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ، وتَسَمَّيْتُهَا بِذلك لِقَلَّةِ الاعتدادِ بها⁽¹⁰⁾، والعرب قد أَمَاتَتِ مَصْدَرَهُ والفعلُ المَاضِي واسمَ الفاعِلِ مِنْهُ، فلا يُقَالُ: وَذَرَهُ، ولا وَادِرَهُ، ولكن يقولون: تَرَكَهُ، وهو تَارِكٌ، واستعملوه في المضارع والأمر، فإذا أرادوا المصدر: قالوا: ذَرَّهُ تَرَكًَا، ويُقَالُ: هو يَذَرُّهُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مكر).

(2) الجوهري، الصحاح، والزيدي، تاج العروس: (مكر).

(3) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (مكر).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 207/29.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كبر).

(6) الجوهري، الصحاح: (كبر).

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 207/29.

(8) الراغب، المفردات: (كبر).

(9) الواحدي، البسيط: 263/22، والخازن، لباب التأويل: 346/4.

(10) الراغب، المفردات: (وذر).

تركاً⁽¹⁾، وقوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ﴾ [القلم: 44]، أي: كلّه إليّ، ولا تشغل قلبك به، فإني أجازيه⁽²⁾، والمقصود بـ (لا تَذَرْنِي) في الآية: نهّي من فعل مُماتٍ، وهو (وَذَر)، استغفوا عنه بمرادفه وهو (تَرَكَ).

(5) ﴿وَدَّآ﴾، و﴿سُوءَا﴾، و﴿يَغُوثَ﴾، و﴿وَعُوقَ﴾، و﴿نَسْرًا﴾:

هذه أسماءُ آلهتهم وأصنامهم، وهي أسماءُ رجالٍ صالحين كانوا بين آدم ونوح ﷺ، فلما ماتوا؛ جعلوا لهم صوراً؛ ليقتدوا بهم في العبادة، ثم نشأ قوم بعدهم، فقال لهم إبليس: إنّ الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم، فبدأت عبادة الأصنام، ثم انتقلت هذه الأوثان إلى العرب، فودّ كانت لكَلْب بدومة الجندل، وسواع لهذيل، ويغوث لمُرَاد ثم لبني غطفان بالجُرف، ويعوق لهمدان، ونسر لحميم⁽³⁾.

❖ المعنى الإجمالي:

يخبر الله تعالى عن شكوى نوح ﷺ لربه المحسن إليه إصرار قومه على العصيان والتكذيب، وأن الضُّعفاء منهم اتَّبَعُوا رُؤَسَاءَهُم الضَّالِّينَ، الذين لم تَزِدْهُمْ أموالهم وأولادهم إلا ضلالاً في الدنيا وعقاباً في الآخرة، ثم يُخَبِّرُ عن مَكْر كِبَرائِهِم بما دَبَرُوا لقومهم من مكائد عظيمة لإضلالهم، فأمرهم بالتمسُّك بعبادة آلهتهم؛ ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وترك ما يدعو إليه نوح ﷺ من عبادة الله تعالى وحده، ثم يَخْتَتِمُ بدعاء نوح ﷺ على الظالمين، طالباً من ربه سبحانه أن يزيدهم بُعداً عن الحق، ويبيِّن أن إصرارهم على الكفر والطغيان أدّى إلى إغراقهم بالطوفان وإدخالهم ناراً عظيمة، فلم يجدوا لأنفسهم ناصراً أو دافعاً لعذاب الله تعالى⁽⁴⁾.

الشَّكْوَى
والدُّعَاءُ نَصْرَةً
لِلْحَقِّ بَعْدَ
اسْتِنْفَادِ السَّبِيلِ

(1) الخليل، العين: (وذر).

(2) ابن منظور، لسان العرب: (وذر).

(3) الخازن، لباب التأويل: 346/4.

(4) جماعة من العلماء، التفسير الميسر: 571/1.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة تكرار فعل القول مع أسلوب النداء بعنوان الربوبية:

استئناف
الشكوى بعد
طول البيان

أعاد النظم الجليل ذَكَرَ فعل القول مع النداء بعنوان الربوبية، في قوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ﴾، بعد أن وردَ ذلك في أوَّل السورة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾؛ وذلك لطول الفاصل والعهد بعد حكاية مناجاته لربه، فجملته ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ﴾ بدلُ اشتغالٍ من تلك الجملة⁽¹⁾، فإنَّ حكاية عصيان قومه هي ممَّا اشتملَ عليه الإخبارُ عن دعوته لهم، فالمتألفان في وقتٍ واحد⁽²⁾، ولم تُصدَّرْ بالواو؛ لكمال الاتصال بين الجملتين.

ويجوزُ أن يكون فصلُ الجملة عما قبلها؛ لكونها مستأنفةً استئنافاً بيانياً، واردةً لبيان الكلام الأوَّل⁽³⁾، فإنَّ نوحاً ﷺ لما ساقَ لهم الأدلة على الألوهية، وعدَّدَ لهم نعمَ الله تعالى عليهم؛ أوردت ذلك سؤالاً في نفسِ المتلقِّي: هل استجابوا، وانقادوا للشرع؟ فجاء الجوابُ بنفي ذلك؛ بدليل دعاءِ نوح ﷺ عليهم.

نكتة إظهار اسم نوح ﷺ بدل إضماره:

إظهار الاسم
تعظيم لمقام
الشكوى وبيان
شدة التحسر

أظهر اسمُ نوح ﷺ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ دون الاكتفاء بالضمير؛ وذلك لبعْدِ معاد الضمير لو تحمَّله الفعل⁽⁴⁾، فكان في الإظهار مزيدُ بيان، كما أنَّ التصريح بالاسم تنويهٌ بأهمية مقول القول، فهو شكوى بليغة من نوح ﷺ؛ لما لاقى من قومه، فأعلن شكواه بعد رفقهِ بهم على طولِ عهده بهم، ولينه لهم بالقول والخطاب⁽⁵⁾.

(1) الهرري، حقائق الروح والريحان: 258 / 30.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 206 / 29.

(3) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 199 / 29.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 206 / 29.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 446 / 20.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالنَّدَاءِ وَحَذْفِ أَدَاتِهِ:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِأَسْلُوبِ النَّدَاءِ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾؛ لِإِظْهَارِ التَّوَجُّعِ وَالشَّكْوَى مِنْ قَوْمِهِ⁽¹⁾، وَالنَّدَاءُ يَشِيرُ إِلَى أَهَمِّيَّةِ مَضْمُونِ الْخِطَابِ، وَحُذِفَ حَرْفُ النَّدَاءِ؛ إِذْ لَمْ يَرِدِ الْبَيَانُ الْقِرَائِيُّ: (قَالَ نُوحٌ يَا رَبِّ)؛ لِعِلْمِ نُوحٍ ﷺ مِنْ قُرْبِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ⁽²⁾.

دَلَالَةُ تَأْكِيدِ الْجُمْلَةِ بِ(إِنَّ):

أَكَّدَ الْخَبْرُ بِحَرْفِ التَّأْكِيدِ (إِنَّ)، فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾؛ لِأَنَّ تَكْذِيبَهُمْ إِيَّاهُ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ مِنَ الْأَدْلَةِ مِمَّا يَبْعُدُ وَقُوعَهُ، وَأَنَّهُ مِمَّا يُسْتَغْرَبُ⁽³⁾، كَمَا أَنَّ فِيهِ اهْتِمَامًا بِمَضْمُونِ الْخَبَرِ، وَتَأْكِيدَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنَ التَّحَسُّرِ وَالِاسْتِنْصَارِ⁽⁴⁾.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْعَصِيَانِ مَادَّةً وَصِغَةً:

عَبَّرَ بِالْعَصِيَانِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ خَالَفُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، وَجَاءَ التَّعْبِيرُ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَحَقُّقِ مَعْصِيَتِهِمْ⁽⁵⁾، فَكَانُوا جَدِيرِينَ بِدَعَاءِ نُوحٍ ﷺ عَلَيْهِمْ.

دَلَالَةُ إِسْنَادِ فِعْلِ ﴿عَصَوْنِي﴾ إِلَى ضَمِيرِ الْفَاعِلِينَ:

أُسْنِدَ فِعْلُ الْمَعْصِيَةِ إِلَى وَائِ الْجَمَاعَةِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ عَصَوْهُ جَمَاعَةً لَا فِرَادَى، وَأَنَّهُمْ تَمَالَوْا عَلَى الْعِصْيَانِ، وَاجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

دَلَالَةُ الْعَطْفِ بِالْوَاوِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاتَّبَعُوا﴾:

عَطَفَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ اتِّبَاعَ الْبَاطِلِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ

استحضارُ القُرْبِ
وعلوُّ المقامِ مِنْ
فِيوضاتِ الكِرَامِ

العصيانُ بعدَ
طولِ البيانِ إنكارٌ
للإحسانِ

الذَّائِبُ عَلَى
المعاصي حقيقٌ
به الكُفْرُ

أشدُّ الخسرانِ
تركُ الإيمانِ
وَاتِّبَاعُ أَهْلِ
الرَّيْغَانِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20 / 446.

(2) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 29 / 183.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 20 / 446.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 206.

(5) الشوكاني، فتح القدير: 5 / 359.

شأنه: ﴿وَاتَّبِعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾؛ للدلالة على أَنَّهُمْ بَدَلُ مُتَابَعَةِ الْحَقِّ مَعَهُ؛ اتَّبِعُوا سَبِيلَ الدُّنْيَا بِأَن اتَّبِعُوا أَكْبَرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الثَّرَاءِ وَالضَّلَالِ⁽¹⁾، فَالْعَطْفُ يُبَيِّنُ شِدَّةَ ضَلَالِهِمْ؛ إِذْ تَرَكُوا مَا فِيهِ سَعَادَتُهُمْ، وَاتَّبِعُوا مَا فِيهِ الضَّلَالُ.

دلالة التعبير بالاتباع مادةً وصيغةً:

جاءَ التَّعْبِيرُ بِفَعْلِ الْإِتِّبَاعِ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَاتَّبِعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾؛ للدلالة على أَنَّهُمْ اقْتَفَوْا أَثَرَ أَسْيَادِهِمْ⁽²⁾، وَجِيءَ بِهِ عَلَى صِيغَةِ الْإِفْتِعَالِ مَاضِيًا؛ للدلالة على أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ، وَحَقَّقُوا بَغَايَةَ الْجُهْدِ وَالسَّعْيِ⁽³⁾، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى اتِّبَاعِ أَسْيَادِهِمْ لَا أَنَّهُمْ أَحَدَثُوهُ؛ إِذْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُتَابِعِينَ لَهُمْ قَبْلَ الدَّعْوَةِ⁽⁴⁾.

دلالة التعبير بالاسم الموصول ﴿مَنْ﴾:

عُبِّرَ بِالِاسْمِ الْمَوْصُولِ ﴿مَنْ﴾، فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَاتَّبِعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾، دُونَ التَّعْبِيرِ عَنْهُمْ بِالِاسْمِ الصَّرِيحِ، فَلَمْ يَرِدْ فِي الْبَيَانِ الْقِرَائِيِّ: (وَاتَّبِعُوا كُِبْرَاءَهُمْ أَوْ سَادَتَهُمْ)؛ وَذَلِكَ لِمَا تُشِيرُ إِلَيْهِ صَلَةُ الْمَوْصُولِ مِنْ كَوْنِهِمْ بَطَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، فَقَلَّبُوهَا إِلَى مَا يَوْجِبُ الْخُسْرَانَ وَالضَّلَالَ بَدَلًا مِنَ الشُّكْرِ وَالْإِيمَانِ⁽⁵⁾.

توجيه القراءات في (ولده):

قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَأَبُو جَعْفَرٍ ﴿وَوَلَدَهُ﴾ بِفَتْحِ الْوَاوِ وَفَتْحِ اللَّامِ، وَقَرَأَ بَاقِي الْعَشْرَةِ ﴿وَوَلَدَهُ﴾ بِضَمِّ الْوَاوِ وَسُكُونِ اللَّامِ⁽⁶⁾، فَالْوَلَدُ اسْمٌ لِلوَاحِدِ مِنَ الْأَوْلَادِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْجَمْعِ أَيْضًا، فَيَكُونُ اسْمٌ

الجزء على
الكفر وتقفي
المعاصي منهاج
للكفار

اتباع المتعمين
الصالحين أولى
عتبات الضلال

مهما زاد
الكافرون في
العدد؛ فإن
جمعهم يزد

(1) القُتُوجِي، فتح البيان: 339 / 14.

(2) الراغب، المفردات: (تبع).

(3) البقاعي، نظم الدرر: 446 / 20.

(4) الشوكاني، فتح القدير: 359 / 5.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 206 / 29.

(6) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 391 / 2.

جنس، وأما (الوَد)؛ فالراجح فيه أنه جَمْعٌ، مثل كالأسد والأسد⁽¹⁾، وفي جمع الكثرة المبني على الضم التي هي أشد الحركات إشارة إلى أنهم وإن زادت كثرتهم، وعظمت قوتهم في الظاهر؛ لا يزيدهم ذلك شيئاً إلا الخسار⁽²⁾.

وَجْهٌ زِيَادَةُ الْمَالِ وَالْوَدَّ لِلْخُسْرَانِ:

نسب النظم الجليل زيادة الخسران إلى الأموال والأولاد، في قوله جل شأنه: ﴿لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾؛ وذلك لأن البسط لهم في النعمة أعقبهم الطغيان والبطر، فاتبعوا أهواءهم، وكفروا، وضلوا⁽³⁾، فضلاً عن أنهم لما استعملوها في تأييد الكفر والضلال كانت سبباً في خسارهم، ولو لم تكن لهم أموال ولا أولاد؛ لكانوا أقل جرأة على الكفر والفساد⁽⁴⁾.

سِرُّ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَالِ وَالْوَدِّ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ:

جَمِعَ بَيْنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾؛ لبيان أنهم أصحاب أموال وأولاد، مما يشير إلى سبب نفاذ قولهم واتباع الناس لهم، فالجمع إدماج بين أسباب طغيانهم⁽⁵⁾، كما أن ذكر الأولاد بعد الأموال علامة على وفرة الخير والبركة، فقد ثبت في علم الاجتماع أن النسل لا يكثر إلا إذا توفر الأمن والعدل، وتوسع الرزق⁽⁶⁾.

دَلَالَةُ الْاسْتِنَاءِ بِـ «إِلَّا»:

عبر النظم القرآني بأسلوب الاستثناء بـ «إِلَّا»، في قوله جل شأنه: ﴿لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾؛ للدلالة على أن أموالهم

وفرة الخير
أعقبهم
الطغيان لا
الشكران

المال أساس
الوفرة وزيادة
النسل

لم يخن أهل
الكفر من
نعمهم إلا
الخسران

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 207/29.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 447/20.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 447/20.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 207/29.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 206/29.

(6) الهري، حقائق الروح والريحان: 253/30.

وأولادهم لم تزدْهم شيئاً من الأشياءِ إلا خساراً؛ ببُعْدِهِمْ مِنَ اللَّهِ تعالى في الدنيا والآخرة⁽¹⁾، فلم ينتفعوا من نِعْمَةِ اللَّهِ تعالى بأن يستعملوها في مَرْضَاتِهِ ومعرفةِ آلائِهِ.

وفي جملة: ﴿لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ قصرٌ بطريق النفي والاستثناء، وهو من قصر الموصوفِ على الصفةِ قصرًا إضافيًا.

دلالة التعبير بالخُسران، وتكثُّر تنكيره:

عِظْمُ خُسْرَانِ
الكافرين لا
يُقاس بالمؤازين

عُبر بلفظ الخُسران في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾؛ لدلالته على نقصِ رأسِ المال، ولفظُ الخُسران يُستعمل في المجاز غالباً، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الأعراف: 9]، ففي قوله: ﴿لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ شُبِّهوا بمن جعل نفسه سلعاً تُباع، فحَسِرَها، ولا خسران أكثر ممَّن عُدِمَ جميعُ رأسِ ماله⁽²⁾، فهو هنا دالٌّ على أنَّهم خَسِرُوا كلَّ شيءٍ، وهذا أشدُّ ما يَفْقِدُهُ الإنسان، وجيء بلفظِ الخسارِ مُتَكَرِّراً؛ للدلالة على عِظَمِ هذا الخُسران.

بلاغة الاستيعارة في لَفْظِ الخُسران:

مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً؛
فَعَلِيهِ وِزْرُهَا
وَوِزُّ مَنْ تَبِعَهُ
عليها

الخَسَارُ في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾: "مستعارٌ لحصول الشرِّ من وسائلِ شأنها أن تكون سببَ خيرٍ، كخسارة التاجر من حيث أراد الربح، فإذا كان هؤلاء خاسرين؛ فالذين يتبعونهم يكونون مثْلهم في الخسارة، وهم يحسبون أنَّهم أرشدوهم إلى النَّجَاح"⁽³⁾.

دلالة العطف بالواو في ﴿وَمَكَّرُوا مَكْرًا كَبَارًا﴾:

عطف النظم الجليل الجملة، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَمَكَّرُوا مَكْرًا

(1) الخطيب، السراج المنير: 4 / 393.

(2) السمين، عمدة الحفاظ: (خسر).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 207 / 29.

كُبَارًا على الجملة في قوله جَلَّ شأنه: ﴿لَمْ يَزِدْهُ﴾⁽¹⁾؛ وذلك لأنَّ الكُبراء هم الذين مكروا، وقالوا لأتباعهم: لا تَدْرُنَّ آلِهَتَنَا⁽²⁾، وفي العطف دليل على شدة إصرارهم على الكُفر، وتماديهم في الجُحود والإنكار، بالتَّحَايُل في الصَّدِّ عن سبيل الله تعالى.

دلالة التعبير بالمكر:

عُبر بالمكر في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كُبَارًا﴾؛ لدلالته على صَرْفِ المرءِ عَمَّا يَقْصِدُهُ بحيلة⁽³⁾، فلما احتالوا لَصَرْفِ النَّاسِ عَن نوحٍ وَتَحْرِيشِهِمْ على أذاهُ وَصَدِّهِمْ عَنِ الْمَيْلِ إِلَيْهِ؛ سَمَّى ذلك مَكْرًا⁽⁴⁾، وقد أحسن الفخر الرازي؛ إذ قال: "إنَّما سَمَّاهُ مَكْرًا لوجهين: الأول: لما في إِضَافَةِ الإلهيَّةِ إِلَيْهِمْ مِنَ الْحِيلَةِ الْمَوْجِبَةِ لاسْتِمْرَارِهِمْ على عبادتها، كأنَّهم قالوا: هذه الأصنامُ آلِهَةٌ لَكُمْ، وكانت آلِهَةً لآبَائِكُمْ، فلو قَبِلْتُمْ قَوْلَ نوحٍ؛ لاعترفْتُمْ على أَنْفُسِكُمْ بِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ جَاهِلِينَ ضالِّينَ كافرين، وعلى آبائِكُمْ بأنَّهم كانوا كذلك، ولما كان اعترافُ الإنسانِ على نفسه وعلى جميع أسلافه بالقُصور والنقص والجَهْل شاقًّا شديدًا؛ صارت الإشارةُ إلى هذه المعاني بلفظ ﴿ءَالِهَتُكُمْ﴾ صارفًا لهم عن الدِّين، فلاجل اشتمالِ هذا الكلام على هذه الحيلة الخفية؛ سَمَّى اللهُ كلامَهُمْ مَكْرًا.

الثاني: أنه تعالى حكى عن أولئك المتبوعين أَنَّهُمْ كان لهم مالٌ ووَلَدٌ، فلعلَّهم قالوا لأتباعهم: إِنَّ آلِهَتَكُمْ خَيْرٌ مِنْ إِلَه نوحٍ؛ لأنَّ آلِهَتَكُمْ يُعْطُونَكُمْ المالَ والولدَ، وإله نوح لا يعطيه شيئًا؛ لأنَّه فقير، فبهذا المَكْرِ صَرَفُوهُمْ عَنِ طاعةِ نوحٍ⁽⁵⁾.

من وجوه
الإصرار على
الكُفر المَكْرُ
والصَّدُّ عن
التَّوْحِيدِ
بِالْأَبَاطِيلِ

الاحتياَلُ الخَفِيُّ
خَدِيعَةٌ لَصَدِّ
النَّاسِ عَنِ
الإِيمَانِ

(1) أبو حيَّان، البحر للحيط: 285 / 10.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 656 / 30.

(3) الراغب، المفردات: (مكر).

(4) النسفي، مدارك التنزيل: 545 / 3.

(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 656 / 30.

دلالة التعبير بالمفعول المطلق:

عبر النظم الجليل بالمفعول المطلق، في قوله جل شأنه: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا﴾ لتأكيد مكرهم، وللدلالة على قوته، فهو مكرٌ بليغٌ شديد⁽¹⁾.

دلالة جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا﴾:

جمع بين لفظين من مادة المكر، في قوله جل شأنه: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا﴾ على طريقة جناس الاشتقاق، وفائدة ذلك الدلالة على تمكن المكر من نفوسهم، وأنه مكرٌ بالغٍ العظم، فكرر ألفاظه إحياءً بشموليته وشِدته.

دلالة التعبير بلفظ الكبير مادة وصيغة:

جاء التعبير بلفظ ﴿كُبَّارًا﴾، في قوله جل شأنه: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كُبَّارًا﴾؛ لدلالته على العظم، فهو كبيرٌ وكبارٌ، فإذا أفرط؛ قيل: كُبَّارٌ⁽²⁾، فعبر بذلك للدلالة على عظم المكر وهوله، وهو صيغة مبالغة من الكبير⁽³⁾، وإنما كان مكرهم شديد الكبير؛ لأنهم لما صدوا قومهم عن التوحيد الذي هو أعظم المراتب؛ كان جرّمهم بالمنع منه أعظم الكبائر، فهذا وصفه الله تعالى بأنه كُبَّارٌ⁽⁴⁾.

وجه العطف بالواو في ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾:

عطف الجملة في قوله جل شأنه: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾، على قوله تعالى: ﴿مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوْلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾⁽⁵⁾؛ وذلك لأن الكبراء هم الذين مكروا، وقالوا لأتباعهم: لا تَذَرُنَّ آلِهَتَنَا⁽⁶⁾، فوصوا أتباعهم بذلك.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 448 / 20.

(2) الجوهري، الصحاح: (كبر).

(3) الواحدي، البسيط: 263 / 22.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 656 / 30.

(5) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 196 / 10.

(6) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 656 / 30.

شِدَّةُ الاحتيالِ
دَلِيلُ الانغماسِ
في الضلالِ

للكر العظيم
تعبير عن
عمق الشر في
أنفسهم

الصد عن
التوحيد أعظم
مكر وأكبر جرّم

شِدَّةُ انحرافِ
المتبوعين؛ أُوْزِتْ
شِدَّةُ انحرافِ
الأتباعِ

دلالة التعبير بأسلوب النهي المؤكد:

عُبر بأسلوب النهي المؤكد، في قوله جلَّ شأنه: ﴿لَا تَذَرْنِ ۚ ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ وذلك لِحَثِّ أَتْبَاعِهِمْ عَلَى التَّنَاهِي عَنْ تَرْكِ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ فِي حَالٍ مِنْ الْأَحْوَالِ⁽¹⁾، وذلك بِيَبْنٍ شَدَّةٍ تَمْسُكُهُمْ بِشِرْكِهِمْ وَحِرْصِهِمْ عَلَى الْبَاطِلِ وَالضَّلَالِ.

إِغْثَالٌ فِي
الْحِرْصِ عَلَى
الْبَاطِلِ

دلالة استعمال الفعل «تَذَرْنَ»:

عُبر بالفعل «تَذَرْنَ»، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرْنِ ۚ ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ لدلالته على التَّرك، أي: لَا تَتْرَكُوا عِبَادَةَ آلِهَتِكُمْ⁽²⁾. ودلالته أيضاً على عَدَمِ الْاِعْتِدَادِ بِالشَّيْءِ، كقوله تعالى: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾⁽³⁾ [الأعراف: 186]، أي: يَتْرَكُهُمْ، فَلَا اِعْتِدَادَ بِهِمْ وَلَا مِبَالَاةَ، وَهَذَا الْفِعْلُ لَمْ يُسْتَعْمَلْ مِنْهُ مَاضٍ وَلَا مُصَدَّرٌ⁽⁴⁾.

دَعْوَةٌ لِلتَّنَسُّبِ
بِالضَّلَالِ الْمُرُوثِ
عَنِ الْآبَاءِ

سِرَّ جَمْعِ الْآلِهَةِ وَإِضَافَتِهَا إِلَى الضَّمِيرِ:

جُمِعَ لَفْظُ الْآلِهَةِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرْنِ ۚ ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَمَسُّكِهِمْ بِالشَّرْكِ، وَانْتِفَاءِ التَّفْرِيطِ فِي وَاحِدٍ مِنَ آلِهَتِهِمْ، وَفِي الْإِضَافَةِ إِلَى الضَّمِيرِ تَذْكِيرٌ لَهُمْ بِأَنَّهَا آلِهَتُهُمْ وَالْهَةُ آبَائُهُمُ الَّتِي يَفْتَخِرُونَ بِهَا⁽⁴⁾.

الشَّرْكَ مَعْهُودٌ
وَالْأَصْنَامُ
مُورِثَةٌ

توجيه العطف بالواو في قوله: ﴿وَلَا تَذَرْنِ ۚ وَدًّا وَلَا

يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذِكْرُ الْأَصْنَامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَذَرْنِ ۚ وَدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ لِلْعَنَايَةِ بِهَا؛ لَكِنَّ قَوْمَ نُوحٍ ﷺ لَهُمْ أَصْنَامٌ كَثِيرَةٌ، جَمَعَهَا قَوْلُ كِبَرَائِهِمْ: ﴿لَا تَذَرْنِ ۚ ءَالِهَتَكُمْ﴾، ثُمَّ خَصَّوْا بِالذِّكْرِ أَعْظَمَهَا، وَهِيَ هَذِهِ الْخَمْسَةُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذِكْرُهَا مِنْ التَّفْصِيلِ بَعْدَ الْإِجْمَالِ لِلْعَنَايَةِ بِهَا، وَيَكُونُ

الْأَصْنَامُ الْمَذْكُورَةُ
أَعْظَمُ مَا لَدَى
الْقَوْمِ مِنْ آلِهَةٍ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20 / 449.

(2) الشوكاني، فتح القدير: 5 / 360.

(3) السمين، عمدة الحفاظ: (وذر).

(4) البقاعي، نظم الدرر: 20 / 449.

العطف من قبيل عطف المرادف، بالأ لا يكون لهم غير تلك الأصنام الخمسة، وقد ذكرت مفصلة⁽¹⁾.

دلالة تكرار جملة النهي:

كرر النظم الجليل جملة النهي (لا تذرَنَّ)، في قوله جل شأنه: ﴿وَلَا تَذَرَنَّ وَدًّا وَلَا سُوءًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾؛ وذلك لتأكيد النهي، فهو تأكيد لفظي بتكرار اللفظ نفسه⁽²⁾، فأكدوا نهيم بتكراره؛ ليزيدوا في حث قومهم على لزوم شركهم.

دلالة التوكيد بنون التوكيد:

أكد الفعل بنون التوكيد، في قوله جل شأنه: ﴿وَلَا تَذَرَنَّ﴾؛ للدلالة على شدة الحرص، والحث على التمسك بالآلهة وعدم تركها⁽³⁾.

دلالة تخصيص الأصنام بالذكر:

خص الأصنام المذكورة دون سواها بالذكر، في قوله جل شأنه: ﴿وَلَا تَذَرَنَّ وَدًّا وَلَا سُوءًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، بعد أن ذكرت الآلهة على العموم في قوله: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرَنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ وذلك للتبويه بها؛ لأنها أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم⁽⁴⁾، فضلاً عن أن في تخصيصها زيادة في الحث على التمسك بها، وتصريحاً بالمقصود من ذكر الآلهة⁽⁵⁾.

دلالة تكرار حرف النفي مع بعض الأصنام دون بعض:

كرر النظم الجليل حرف النفي مع بعض أسماء الآلهة دون بعضها، في قوله جل شأنه: ﴿وَلَا تَذَرَنَّ وَدًّا وَلَا سُوءًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾؛ لأن فائدة التكرار تأكيد النفي والمبالغة فيه، وأن

حث بلا توان
على التمسك
بالباطل

التذكير بالمعهود
من الأصنام حث
على الولاء

الحرص على
عدم التفريط
بصنم من
الأصنام

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 209 / 29.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 209 / 29.

(3) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 201 / 29.

(4) النسفي، مدارك التنزيل: 545 / 3.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 449 / 20.

النَّفْيِ يَشْمَلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَرْدًا فَرْدًا لَا عَنِ الْمَجْمُوعِ، وَلَمْ يُكْرَرْ
النَّفْيُ مَعَ آخِرِ اسْمَيْنِ؛ لِأَنَّ التَّأْكِيدَ بَلَغَ غَايَتَهُ، فَلَمْ يُحَوِّجْ إِلَى
تَكَرُّرِهِ⁽¹⁾، فَإِنَّ بِنَاءَ الْكَلَامِ جَارٍ عَلَى أَنَّ التَّأْكِيدَ لَا يُزَادُ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ
ثَلَاثِ مَرَّاتٍ فِي التَّكْرَارِ⁽²⁾.

دِلَالَةُ عَطْفِ الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ عَلَى الْإِنْشَائِيَّةِ:

عُطِفَتِ الْجُمْلَةُ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، عَلَى
الْجُمْلَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾؛ لَكُونِهَا مِنْ
مَقُولِ الْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ نُوحٌ ﷺ، فَعُطِفَتِ جُمْلَةُ خَبَرِيَّةٍ عَلَى إِنْشَائِيَّةٍ؛
إِذْ لَا يُشْتَرَطُ التَّنَاسُبُ فِي عَطْفِ الْجُمْلِ، فَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَفَ جُمْلَةُ
الْإِنْشَاءِ عَلَى جُمْلَةِ الْخَبَرِ، وَالْعَكْسُ⁽³⁾، وَيجوزُ أَنْ تَكُونَ مَعْطُوفَةً عَلَى
قَوْلِهِ: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا﴾؛ إِذْ لَمَّا ذَكَرَ مَكْرَهُمْ، وَحَثَّاهُمْ عَلَى عَدَمِ
تَرْكِ الْآلِهَةِ؛ عَطَفَ عَلَيْهِ مَا يُتَوَقَّعُ مِنْ أَمْرِ ذَلِكَ الْمَكْرِ وَالْحَثِّ⁽⁴⁾.

بِلَاغَةُ التَّوَكُّيدِ بِالْحَرْفِ (قَدْ):

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِحَرْفِ التَّحْقِيقِ (قَدْ)، فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ:
﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾؛ وَذَلِكَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّأْكِيدِ⁽⁵⁾، فَإِنَّ إِضْلَالَهُمْ
النَّاسَ لَمْ يَكُنْ مَجْرَدَ دَعْوَةٍ، بَلْ قَدْ وَقَعَ، وَتَحَقَّقَ فِي الْوَاقِعِ، فَضَلَّ
النَّاسُ عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، فَهُوَ تَمْهِيدٌ لِمَا يَأْتِي مِنَ الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ.

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالضَّلَالِ مَادَّةً وَصِغَةً:

جَاءَ التَّعْبِيرُ بِالضَّلَالِ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾؛
لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ صَدَّوْا النَّاسَ عَنِ الْحَقِّ، وَعَنِ اتِّبَاعِ نُوحٍ ﷺ⁽⁶⁾،
وَالْفِعْلُ (أَضَلَّ) مُتَعَدٍّ دَالٌّ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا أَوَّلًا، ثُمَّ إِنَّهُمْ كَانُوا

الإِضْرَارُ عَلَى
التَّمَادِي فِي
الضَّلَالِ وَالِدُّعْوَةِ
إِلَى الْبَاطِلِ

الإِضْلَالُ وَاقِعٌ،
وَمِنْهُجٌ سَارَ عَلَيْهِ
كُفْرَاءُ الْكَفَّارِ

ضَلُّوا عَنْ
الْهُدَى، وَأَضَلُّوا،
وَتَمَادَوْا فِي الْغَيِّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 449/20، والهرري، حقائق الروح والريحان: 261/30.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 209/29 - 210.

(3) أبو حيان، البحر المحیط: 287/10.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 451/20.

(5) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 202/29.

(6) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 202/29.

سبباً في ضلال كثيرٍ من النَّاسِ بصدِّهم وبتكونهم قادة القوم، فضلَّ كثيرٌ من النَّاسِ بسببهم⁽¹⁾، وجاء التَّعبيرُ بالفعل الماضي؛ للدَّلالة على تحقُّق ذلك مِنْهُمْ.

دلالة التَّعبير بلَفْظِ الكثرة:

عبَّر النُّظم الجليل بالكثرة، في قوله جَلَّ شأنه: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّهم قد صدَّوا كثيرًا من النَّاسِ، وذلك في زمانهم والأزمنة التي تليهم، فإنَّهم أوَّل مَنْ سَنَّ الشُّرْكَ والكُفْرَ، فكان عليهم وِزْرُ ذلك ووزر مَنْ عمل به بعدهم إلى يوم القيامة⁽²⁾.

دلالة عَطْفِ الإنشاءِ على الخبر:

عطف النُّظم الجليل أسلوبَ الدُّعاء - وهو إنشاءٌ - في قوله جَلَّ شأنه: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾، على الخبرِ في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾؛ لكونه من تمام كلام نوح ﷺ، فقد ختم شكواه إلى الله تعالى بالدُّعاء على المشركين الذين ضلُّوا عن الحقِّ بأنَّ يزيدَهُم اللهُ ضلالاً، ولا ضيَّرَ من عطف الإنشاء على الخبر، فهو غير ممَّنوع على وجه الإطلاق، وقد تكرر كثيراً في القرآن الكريم⁽³⁾.

توجيه مَعْنَى الاعتراض في الآية:

يجوز أن تكون الواو اعتراضية، وجملة: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ معترضة؛ على أنَّها من كلام الله تعالى لنوح ﷺ، والتقدير: (وقلنا: لا تزدِ الظَّالِمِينَ)، والمعنى: ولا تزدِ في دُعائِهِمْ، فإنَّ ذلك لا يزيدُهُم إلا ضلالاً، فالزيادة منه تزيدُهُم كُفْرًا وعناداً، وقد أعلم الله تعالى نوحاً ﷺ أنَّه مهلكُهُم بقوله: ﴿أَعْرِفُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾، وفي قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا

مَنْ سَنَّ سُنَّةَ
سَيِّئَةٍ؛ فَعَلِيهِ
وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ
عَمِلَ بِهَا

حكاية الحال
تمهيداً للشكوى
والسؤال

دعاء المستكبر لا
يزيده إلا عناداً
وجحوداً

(1) السمعاني، تفسير السمعاني: 6 / 60.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 20 / 451.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 210.

تَبْتَئِسُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾ [هود: 36 - 37] (1).

دِلَالَةُ الدَّعَاءِ بِصِيغَةِ النَّهْيِ:

جاءَ التَّعْبِيرُ بِأَسْلُوبِ النَّهْيِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾: للدَّعَاءِ عَلَى قَوْمِ نُوْحٍ ﷺ بِالضَّلَالِ، فَهُوَ دَعْوَةٌ مِنْ نُوْحٍ ﷺ عَلَى قَوْمِهِ؛ لِمَسْكِهِمْ بِكُفْرِهِمْ وَتَمَرُّدِهِمْ عَلَى الدَّعْوَةِ وَعِنَادِهِمْ (2)، وَإِنَّمَا دَعَا عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ أَيْسَ مِنْ إِيْمَانِهِمْ بِإِخْبَارِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: 36] (3)، "فَصِيغَةُ النَّهْيِ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي التَّأْيِيسِ مِنْ نَفْعِ دَعْوَتِهِ إِيَّاهُمْ" (4).

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالظُّلْمِ مَادَّةً وَصِيغَةً:

المرادُ بـ ﴿الظَّالِمِينَ﴾ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾: قَوْمُ نُوْحٍ ﷺ الَّذِينَ عَصَوْهُ، وَقَدْ عُبِّرَ بِلَفْظِ الظُّلْمِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ؛ لِعِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، فَوَضَعُوا الْعِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا (5)، وَجاءَ التَّعْبِيرُ بِصِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى ثُبُوتِ الْوَصْفِ لَهُمْ وَعَدَمِ انْفِكَائِهِ عَنْهُمْ، أَيْ: لَا تَزِدِ الرَّاسِخِينَ فِي الظُّلْمِ إِلَّا ضَلَالًا (6).

سِرُّ وَضْعِ اللَّظْهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِّ:

فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَقَدْ أَصْلَلُوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾، وَضَعُ اللَّظْهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِّ؛ إِذْ إِنَّ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُعْبَرَ الْبَيَانُ الْقِرَائِيُّ عَنْهُمْ بِالضَّمِيرِ عَائِدًا إِلَيْهِمْ: (وَلَا تَزِدْهُمْ)،

يَأْسُ مِنَ انْتِفَاعِ
الْقَوْمِ بِالدَّعْوَةِ

صَرَفَ الْعِبَادَةَ
لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى
ظُلْمٌ وَضَلَالٌ
رَاسِخٌ فِي
الْمُشْرِكِينَ

كُلُّ ظَالِمٍ
بِالشَّرِكِ
مَشْمُولٌ بِدَعْوَةِ
نُوْحٍ ﷺ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 211 / 29.

(2) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 197 / 10.

(3) الخازن، لباب التأويل: 347 / 4.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 211 / 29.

(5) الواحدي، البسيط: 270 / 22، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 210 / 29.

(6) البقاعي، نظم الدرر: 452 / 20.

وَعُدِلَ عَنِ الْإِضْمَارِ إِلَى الْإِظْهَارِ؛ لِتَعْمِيمِ الْحُكْمِ عَلَى كُلِّ ظَالِمٍ، وَلِلْإِشَارَةِ إِلَى عِلَّةِ هَذَا الدُّعَاءِ وَالِاسْتِحْقَاقِ، وَهِيَ الظُّلْمُ⁽¹⁾، كَمَا أَنَّ التَّعْبِيرَ بِالْأَسْمِ الظَّاهِرِ يُسَجِّلُ عَلَيْهِمْ صِفَةَ الظُّلْمِ، فَهُمْ ظَالِمُونَ لِشَرِّكَهِمْ وَضَلَالِهِمْ⁽²⁾.

بَلَاغَةُ الْاسْتِثْنَاءِ بِ «إِلَّا»:

جاء أسلوب الاستثناء بـ «إِلَّا»، وهي هنا دالة على الحصر والقصر، في قوله جلَّ شأنه: «وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا»؛ وذلك لتأكيد الشيء بما يُشَبِّهُ ضِدَّهُ، "أي: حُلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَكْرِهِمْ، وَلَا تَزِدْهُمْ إِمْهَالًا فِي طغيانهم علينا إِلَّا أَنْ تُضَلِّلَهُمْ عَنْ وَسَائِلِهِ، أَوْ أَرَادَ إِبْهَامَ طَرِقِ النَّفْعِ عَلَيْهِمْ؛ حَتَّى تَنْكَسِرَ شَوْكَتُهُمْ، وَتَلِينَ شَكِيمَتُهُمْ، نَظِيرَ قَوْلِ مُوسَى ﷺ: «رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» (يونس: 88)⁽³⁾.

دَلَالَةُ جِنَاسِ الْاِسْتِثْنَاءِ بَيْنَ «أَضَلُّوا» وَ«ضَلَّلَا»:

جمع النظم الجليل بين لفظي «أَضَلُّوا» و«ضَلَّلَا»، في قوله جلَّ شأنه: «وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا»، وكلاهما من الجذر (ضَلَّ)؛ وذلك ليكونَ جزاؤهم من جنسِ عَمَلِهِمْ، فلا يَنَالُونَ مَقْصِدَهُمْ كَمَا صَدَّوْا النَّاسَ عَنْ مَقْصِدِ الْإِيمَانِ⁽⁴⁾.

دَلَالَةُ تَكْبِيرِ لَفْظِ الضَّلَالِ:

أثر البيان القرآني التعبير عن الضلال مُنْكَرًا، في قوله جلَّ شأنه: «وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا»؛ للدلالة على تعظيم الضلال المسؤول، بأن يُطَبَّعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ طَبْعًا بَحِيثٌ يَعْمُونَ عَنِ الْحَقِّ، وَيَضِلُّونَ عَنِ جَمِيعِ مَقَاصِدِهِمْ، حَتَّى مَا كَانَ مِنْهَا بَاطِلًا، فَلَا

إِبْهَامٌ طَرِقَ
النَّفْعَ كَسَرَ
لَشَوْكَةِ الضَّالِّ
الْمُتَكَبِّرِ

الجزء من
جنس العمل

الضلال العظيم
لا نور بعده

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20 / 451.

(2) القنوجي، فتح البيان: 14 / 343.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 211.

(4) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 29 / 202.

يتحقق منها شيء⁽¹⁾، فليس المراد من الضلال نقيض الهداية، بل أراد به ما يتعلق بأمر الدنيا، لا في أمر الآخرة⁽²⁾، فإن الضلال عن طريق الحق والتوحيد، ينافي دعوة نوح ﷺ قومه إلى الاستغفار والإيمان بالبعث⁽³⁾.

دلالة وجهي الاستعارة والحقيقة في لفظ (الضلال):

(الضلال) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ مستعار لعدم الاهتداء إلى طرائق المكر الذي خشي نوح ﷺ غائلته في قوله: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا﴾، ويجوز أن يكون أطلق على العذاب المسبب عن الضلال، والمراد: عذاب يوم القيامة، وهو عذاب الإهانة والآلام⁽⁴⁾. ويجوز أن يكون لفظ الضلال محمولاً على حقيقته، والمعنى: ولا تزد في دعائهم، فإن ذلك لا يزيدهم إلا ضلالاً، فالزيادة منه تزيدهم كُفراً وعناداً، في حال عدّ الواو اعتراضية، وجملة ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ معترضة، على أنها من كلام الله تعالى لنوح ﷺ، والتقدير: (وقلنا: لا تزد الظالمين)⁽⁵⁾.

بلادة فصل جملة ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ﴾:

فصلت الجملة في قوله جل شأنه: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾؛ لأنها مستأنفة، سيقّت للاعتراض بين الجمل التي حكّت أقوال نوح ﷺ، فهي من قول الله تعالى للتعجيل بتسليّة النبي ﷺ، فيخبره بأنه قدّر النصر لنوح ﷺ، وأنزل العقاب بقومه قبل أن يسأله نوح ﷺ استئصالهم، فإن ما لاقاه النبي ﷺ من قومه يماثل ما لاقاه نوح ﷺ من قومه⁽⁶⁾.

في كفّ الظالم
عن الأدنى نجاةً
وحياةً

حكاية الهلاك
تسليّة لرسول
الهدى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20 / 452.

(2) الخازن، لباب التأويل: 4 / 347.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 211.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 211.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 211.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 212.

دلالة (من) في قوله: ﴿مِمَّا﴾:

الذُّنُوبُ سَبَبٌ
لِلْعَقُوبَةِ

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِحَرْفِ الْجَرِّ (مِنْ)، فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا﴾، وَهِيَ هُنَا لِلْسَّبَبِيَّةِ وَالتَّعْلِيلِ، أَي: مِنْ أَجْلِ خَطِيئَاتِهِمْ وَبِسَبَبِهَا⁽¹⁾.

نَكْتَةُ التَّعْبِيرِ بـ (مَا):

الخطايا أصلُ
البلاءِ

عَبَّرَ بـ (مَا) فِي ﴿مِمَّا﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾؛ وَهِيَ هُنَا صِلَةٌ بَيْنَ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ لِإِرَادَةِ التَّوَكِيدِ، وَقَدْ جِيءَ بِهَا لِتَأْكِيدِ مَعْنَى التَّعْلِيلِ⁽²⁾، فَالْإِغْرَاقُ وَقَعَ بِسَبَبِ خَطِيئَاتِهِمْ لَا بَغَيْرِهَا، وَفِي ذَلِكَ: إِبْطَالُ مُعْتَقَدِ الْكَافِرِينَ بِأَنَّ الْإِنْجَاءَ وَالْإِهْلَاكَ عَادَةُ الدَّهْرِ⁽³⁾.

بِلَاغَةُ تَقْدِيمِ شَبْهِ الْجُمْلَةِ:

الخطايا سببُ
العذابِ في الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ

قُدِّمَ شَبْهُ الْجُمْلَةِ عَلَى الْفِعْلِ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾، فَلَمْ يَرِدْ فِي الْبَيَانِ الْقِرَائِيَّ: (أُغْرِقُوا مِنْ خَطِيئَاتِهِمْ)؛ وَذَلِكَ لِحَصْرِ الْإِغْرَاقِ فِي عِلَّةِ ارْتِكَابِ الْخَطَايَا، فَلَمْ يَكُنْ إِغْرَاقُهُمْ بِالطُّوفَانِ وَإِدْخَالُهُمُ النَّارَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ خَطِيئَاتِهِمْ⁽⁴⁾، فَلَمْ يَكُنْ عِقَابُهُمْ لِمَجْرَدِ اسْتِجَابَتِهِ تَعَالَى لِدَعْوَةِ نُوحٍ ﷺ، وَذَلِكَ لِيُعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْرَأُ عِبَادَهُ عَلَى الشُّرْكِ بَعْدَ تَبْلِيغِهِمُ بِالرِّسَالَةِ، وَإِنَّمَا تَأَخَّرَ عَذَابُهُمْ إِلَى مَا بَعْدَ دُعَاءِ نُوحٍ ﷺ؛ لِإِظْهَارِ كَرَامَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ بَيْنَ قَوْمِهِ⁽⁵⁾.

دلالة جَمْعِ الْخَطِيئَةِ:

ذنوبٌ لا تُحصى
كثرةً، ولا
تُنحصرُ نوعاً

آثَرِ النَّظْمِ الْكَرِيمِ جَمَعَ لَفْظَ الْخَطِيئَةِ، فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾؛ لِكثَرَةِ مَعَاصِيهِمْ وَتَنَوُّعِ جَرَائِمِهِمْ وَجَرَائِرِهِمْ،

(1) الواحدى، البسيط: 271 / 22.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 212 / 29.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 453 / 20.

(4) النسفي، مدارك التنزيل: 546 / 3.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 212 / 29.

كالإشراكِ باللهِ تعالى، وتكذيبِ الرّسول، وأذاً، وأذى المؤمنين معه، والسُّخْرية منهم⁽¹⁾، وهُم قَدْ كَفَرُوا بِالْإِيمَانِ، وكَذَّبُوا بِالرَّسَالَةِ، وتمسَّكُوا بالطَّاغُوتِ، وهذا قَدْرُ كَافٍ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعَذَابِ⁽²⁾.

دَلَالَةُ إِضَافَةِ (الْخَطِيئَاتِ) إِلَيْهِمْ:

أضاف النَّظْمُ الْجَلِيلُ الْخَطِيئَاتِ إِلَى ضَمِيرِ الْقَوْمِ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: «مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا»؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْعَذَابَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِمْ؛ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمُ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا بِأَنْفُسِهِمْ، فَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَكِنَّهُمْ هُمُ الظَّالِمُونَ.

تَوْجِيهَ الْقِرَاءَاتِ فِي «خَطِيئَتِهِمْ»:

قرأ الجمهورُ «خَطِيئَتِهِمْ» بجمع (خطيئة) - بِالْهَمْزِ - جَمَعَ مُؤَنَّثٍ سَالِمًا، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَوَحْدَهُ «خَطِيئَتُهُمْ»، وَهِيَ جَمْعُ (خَطِيئَةٍ)⁽³⁾، عَلَى أَنَّهُ جَمْعُ تَكْسِيرٍ، وَهُوَ دَالٌّ عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَعَ خَطَايَا كُفْرِهِمْ - مِنْ خِلَالِ إِيْمَانِهِمْ بِالطَّاغُوتِ، وَتَكْذِيبِ رَبِّهِمْ، وَتَكْذِيبِ رَسُولِهِ ﷺ الَّتِي تَكْفِي لَاسْتِئْصَالِهِمْ - مِنَ الذُّنُوبِ مَا يَفُوتُ الْحَصْرَ، وَيُوجِبُ تَغْلِيظَ ذَلِكَ الْاِخْتِزَ وَالِاسْتِئْصَالَ⁽⁴⁾.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْعَرَقِ مَادَّةً وَصِغَةً:

عُبِّرَ بِالْإِغْرَاقِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا»؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ هَلَكُوا بِالطُّوفَانِ⁽⁵⁾، وَعُبِّرَ عَنْ ذَلِكَ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْهَلَاكِ الْمَحَقَّقِ يَقِينًا، وَقَدْ جِيءَ بِهِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ؛ لِأَنَّ الْإِجْعَالَ يَقَعُ بِالْإِغْرَاقِ لِدَاثِهِ لَا بِكُونِهِ مِنْ مُعَيَّنٍ، فَضْلًا عَنْ دَلَالَتِهِ عَلَى سُهُولَةِ إِيقَاعِهِ عَلَيْهِمْ⁽⁶⁾.

يُهْلِكُ الْكَافِرُونَ
بِخَطِيئَاتِهِمْ

الْإِكْثَارُ مِنَ
الذُّنُوبِ يُوجِبُ
تَغْلِيظَ الْعُقُوبَةِ

لَيْسَ الْإِغْرَاقُ
تَهْدِيدًا بَلْ هُوَ
وَاقِعٌ مُنْجَزٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 212، ومحمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 29/ 203.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 453.

(3) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 391.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 453.

(5) القنوجي، فتح البيان: 14/ 343.

(6) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 453.

دلالة عطف إدخال النار على الإغراق بالفاء:

بعد الإغراق
ليس إلا النار
مصريًا

عُطِفَ إدخال النار على الإغراق بحرف العطف (الفاء)، في قوله سبحانه: ﴿أَغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾؛ للدلالة على أنه قد تسبَّبَ عَنْهُ، وأنه وَقَعَ عَقِبَهُ⁽¹⁾، فضلًا عَنْ دَلَالَتِهِ عَلَى قِصَرِ مَدَّةِ اللَّبْثِ فِي الْقُبُورِ، فَكَأَنَّ الْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ وَقَعَ عَقِبَ عَذَابِ الدُّنْيَا عَلَى الْفَوْرِ. ويجوزُ أَنْ تَكُونَ الْفَاءُ دَالَّةً عَلَى التَّرْتِيبِ مَعَ التَّعْقِيبِ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ، وَأَنَّ الْمُرَادَ تَعْذِيبُهُمْ فِي قُبُورِهِمْ بَعْدَ غَرَقِهِمْ⁽²⁾، مَعَ مَا يَنْتَظِرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَلِذَا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾: "تُقْلَوْنَ مِنْ تَيَّارِ الْبَحَارِ إِلَى حَرَارَةِ النَّارِ"⁽³⁾.

دلالة التعبير بفعل الإدخال ماضيًا:

إدخال الكافرين
النار واقع يقينًا

عُبرَ عَنِ الْإِدْخَالِ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي الْمَبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾؛ للدلالة على الْوُلُوجِ فِيهَا، وَأَنَّهُمْ صَارُوا دَاخِلِهَا⁽⁴⁾، وَالْإِدْخَالُ فِي النَّارِ أَمْرٌ يَقَعُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَقَدْ عُبِّرَ عَنْهُ بِالْمَاضِي؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَحَقُّقِهِ⁽⁵⁾؛ لِكَوْنِهِ سَيَقَعُ عَلَى وَجْهِ الْيَقِينِ، وَجَاءَ الْفِعْلُ بِصِيغَةِ الْمَبْنِيِّ الْمَفْعُولِ لِلْاهْتِمَامِ بِالْإِدْخَالِ لِدَاثَتِهِ، وَكَوْنِهِ مُحَقَّقًا لَا بِكَوْنِهِ مِنْ مَعْيَنٍ، وَفِي بَنَائِهِ لِلْمَفْعُولِ أَيْضًا إِيجَازٌ بِحَذْفِ الْفَاعِلِ، وَذَلِكَ لِلْعِلْمِ بِمَنْ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَمْرِهِ مَلَأَتْكَتُهُ بِإِدْخَالِهِمْ فِيهَا.

ويجوزُ أَنْ يَكُونَ التَّعْبِيرُ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي عَلَى بَابِهِ؛ إِذَا أُريدَ بِإِدْخَالِهِمُ النَّارَ عَذَابُ الْقَبْرِ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20 / 453.

(2) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير: 5 / 445.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8 / 236.

(4) الفيومي، للصبح النير: (دخل).

(5) أبو حيان، البحر المحيط: 10 / 288.

نُكْتَةُ تَنْكِيرِ لَفْظِ النَّارِ:

أَثَرُ الْبَيَانِ الْقِرْآنِيِّ تَنْكِيرَ لَفْظِ النَّارِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَادْخُلُوا نَارًا﴾؛ لِمَا فِي التَّنْكِيرِ مِنْ تَعْظِيمٍ وَتَهْوِيلٍ، أَيْ: أَدْخُلُوا نَارًا عَظِيمَةً⁽¹⁾، جَزَاءً وَفَاقًا لِإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، بِإِنْكَارِهِمْ دَعْوَةَ نُوحٍ ﷺ.

بِلَادَةُ مُحَسِّنِ الطَّبَاقِ:

جَمَعَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بَيْنَ لَفْظِي الْإِغْرَاقِ وَالنَّارِ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿أُغْرِقُوا فَادْخُلُوا نَارًا﴾ عَلَى طَرِيقَةِ الطَّبَاقِ؛ إِذْ بَيْنَ النَّارِ وَالْغَرَقِ الْمُشْعِرِ بِالمَاءِ تَضَادٌّ⁽²⁾، فَهُوَ تَعْبِيرٌ غَايَةٌ فِي الْبَلَاغَةِ وَالْحُسْنِ، فَلَمَّا أُغْرِقُوا بِالمَاءِ فِي الدُّنْيَا: أُحْرِقُوا بِالنَّارِ فِي الْآخِرَةِ، فَجَمَعَ عَلَيْهِمُ النَّقِیْضَيْنِ فِي عَذَابِهِمْ فِي الدَّارَيْنِ. وَفِي تَقْرِيرِ الطَّبَاقِ مَسْلَكٌ آخَرُ، وَهُوَ إِدْخَالُ النَّارِ مُسْتَلْزِمٌ الْإِحْرَاقِ، وَالْإِحْرَاقُ مُضَادٌّ لِلْإِغْرَاقِ.

دَلَالَةُ الْفَاءِ فِي صَدْرِ الْجُمْلَةِ:

افْتَتَحَ الْبَيَانُ الْقِرْآنِيُّ الْجُمْلَةَ بِالفَاءِ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾، وَهِيَ هُنَا لِلتَّفْرِيعِ، فَإِنَّهُ لَمَّا أَخْبَرَ بِأَنَّهُمْ أُغْرِقُوا، وَأَدْخَلُوا نَارًا؛ فَرَّعَ عَلَيْهِ انْتِفَاءً وَجُودٍ نَصِيرٍ يَمْنَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، وَالْجُمْلَةُ سَيَقَتْ لِلتَّعْرِیْضِ بِالمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ، فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ؛ لِنَشْفَعَ لَهُمْ، وَتَدْفَعُ عَنْهُمْ كَوَارِثَ الدُّنْيَا، أَيْ: كَمَا لَمْ تَنْصُرِ الْأَصْنَامُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُهَا مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ﷺ، فَإِنَّكُمْ كَذَلِكَ لَا تَنْصُرُكُمْ أَصْنَامُكُمْ⁽³⁾.

فَائِدَةُ التَّعْبِيرِ بِشِبْهِ الْجُمْلَةِ ﴿لَهُمْ﴾:

الْلَامُ فِي الْقَيْدِ ﴿لَهُمْ﴾ لِلتَّقْوِيَةِ وَالتَّوَكُّيدِ⁽⁴⁾، وَقَدْ عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِشِبْهِ الْجُمْلَةِ ﴿لَهُمْ﴾، فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ

عِظْمُ الذَّنْبِ
يَفْتَنِي عِظْمُ
الْعُقُوبَةِ

بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ
يَتَحَوَّلُ الْكَافِرُ
مِنْ عَذَابٍ إِلَى
عَذَابٍ

مِنْ شِدَّةِ
الْعَذَابِ عَدَمُ
النَّصِيرِ وَقَدْ
الْحَاجَةُ لَهُ

لَا خَذْلَانَ لِلنَّفْسِ
أَشَدُّ مِنْ خَذْلَانِ
النَّصِيرِ

(1) النسفي، مدارك التنزيل: 546 / 3.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 212 / 29.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 212 / 29 - 213، وينظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 659 / 30.

(4) قباوة، للفصل في شرح الجلالين، ص: 2024.

مِّن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا؛ للدلالة على أَنَّ المقصودَ مِنَ النَّصِيرِ أَنْ يُحَقِّقَ النِّجَاةَ لَأَنْفُسِهِمْ خَاصَّةً، فالإخبارُ بذلكَ أَشَدُّ وَقَعًا مِّمَّا لو كان انتفاءُ النَّصِيرِ على وَجْهِ الْعُمومِ، فلو قال: (فلم يجدوا من دون الله أنصارًا)؛ لدلَّ على انتفاءِ النَّصِيرِ على العمومِ، وهو قد يَنْتَقِضُ بَأَنَّهُ قد يَقَعُ لِبَعْضِهِمْ، وفي ذلك يقول البقاعيُّ: "وَحَقَّقَ الْأَمْرَ فِيهِمْ بِقَوْلِهِ: **﴿لَهُمْ﴾**، أي: عندما أَنَاخَ اللَّهُ بِهِمْ سَطَوَتَهُ، وأَحَلَّ بِهِمْ نِقْمَتَهُ"⁽¹⁾.

سِرُّ تَقْدِيمِ شِبْهِ الْجُمْلَةِ **﴿لَهُمْ﴾ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ:**

قُدِّمَ شِبْهُ الْجُمْلَةِ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: **﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾**، فلم يقل: (فلم يجدوا أنصارًا لهم)؛ اهتمامًا بِشَأْنِهِمْ؛ إِذْ إِنَّهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَا يَهْمُهُمْ شَأْنُ غَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْعَوْنَ إِلَّا لِنَجْدَةِ أَنْفُسِهِمْ.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ **﴿مِّن دُونِ﴾:**

عُبِّرَ بِشِبْهِ الْجُمْلَةِ **﴿مِّن دُونِ﴾**، فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: **﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾**؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ رَتَبَةَ كُلِّ أَحَدٍ مَهُمَا عَلا شَأْنُهُ، فَهِيَ دُونَ رَتَبَتِهِ تَعَالَى، فَانْقَطَعَتْ عَنْهُمْ الْأَسْبَابُ، فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا - مِنْ آلِهَتِهِمْ وَشُرَكَائِهِمْ - يَنْصُرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَدَلَّ إِثْبَاتُ حَرْفِ الْجَرِّ **﴿مِّن﴾** - وَهِيَ بَيَانِيَّةٌ - عَلَى اسْتِغْرَاقِ جَمِيعِ الرُّتَبِ دُونَ رَتَبَتِهِ تَعَالَى⁽²⁾.

سِرُّ إِثَارِ التَّعْبِيرِ بِالاسْمِ الْأَحْسَنِ **﴿اللَّهُ﴾:**

آثَرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ التَّعْبِيرَ بِالاسْمِ الْأَحْسَنِ **﴿اللَّهُ﴾**، فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: **﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾**؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْمَلِكَ الْأَعْظَمَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ تَتَضَاعَلُ تَحْتَ رُتَبَةِ عَظَمَتِهِ كُلُّ الرُّتَبِ، وَتَذِلُّ لِعِزَّتِهِ كُلُّ الْمَنَازِلِ وَالذَّوَاتِ⁽³⁾.

كُلُّ امْرِئٍ
مَصْرُوقٌ إِلَى
نَفْسِهِ يَوْمَ
الْحِسَابِ

كُلُّ دُونِ زَائِلٌ
وَعَنِ النَّصْرَةِ
عَاجِزٌ

أَتَى لِلْكَافِرِ
النَّصِيرُ؟ وَكُلُّ مَا
دُونَ اللَّهِ تَعَالَى
ضَيْلٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 454/20.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 454/20.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 455/20.

دلالة التعبير بالأنصار جمعًا مُنْكَرًا:

عَبَّرَ بِالْأَنْصَارِ جَمْعًا مُنْكَرًا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعُمومِ، أَي: لَمْ يَجِدُوا أَحَدًا يُمَكِّنُ أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى⁽¹⁾ وَلَوْ كَانُوا مَجْتَمِعِينَ.

❖ الفروق المُعْجَمِيَّة:

الضَّالُّ والزَّيْغُ:

الزَّيْغُ: الْمِيلُ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ⁽²⁾، أَمَّا الضَّلَالُ؛ فَهُوَ الْعَدُولُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَيُضَادُّهُ: الْهَدَايَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس: 108]، وَيُطْلَقُ الضَّلَالُ عَلَى كُلِّ عَدُولٍ عَنِ الْمَنْهَجِ⁽³⁾، فَالضَّلَالُ أَشَدُّ مِنَ الزَّيْغِ؛ إِذِ الزَّيْغُ مِيلٌ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ، أَمَّا الضَّلَالُ؛ فَهُوَ نَقِيضُ الْهَدَايَةِ، فَهُوَ عَدُولٌ تَامٌّ عَنِ الطَّرِيقِ، وَعَبَّرَ فِي الْآيَةِ بِالضَّلَالِ؛ لِأَنَّ رُؤْسَاءَ الْقَوْمِ أَضَلُّوا النَّاسَ عَنِ الْهُدَى.

الزَّيْغُ مِيلٌ عَنِ
الْإِسْتِقَامَةِ،
وَالضَّلَالُ مُفَارَقَةٌ
لَهَا، فَهُوَ نَقِيضُ
الْهُدَى

(1) السمعاني، تفسير السمعي: 60 / 6.

(2) الراغب، للفردات: (زيغ).

(3) الراغب، للفردات: (ضل).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارِج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارِج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.

مج. 64 ، 806 صفحة ؛ 24x17 سم.

ردمك : 978-9948-647-38-6

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارِج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"